الدراما

الدراما اللبنانية وواقع الناس في سنوات الحرب وما بعدها

تجاهل صنّاع الدراما اللبنانية الواقع اللبناني ودراما الناس في سنوات الحرب عن قصد لان البحث في ملفاتها بعمق قد يؤدي الى مشكلة تجعلهم طرفا من اطرافها ما قد يسبب بتسييس عملهم الفني فاقتنعوا واقنعوا غيرهم بضرورة تسلية الناس. لان همومهم تكفيهم ولا يريدون استرجاع معاناتهم امام شاشة الغاية منها جعل الحياة وردية

الخطوة الجريئة في الدراما حاليا في حال سعت الى تناول جوانب من الحرب اللبنانية هي في عدم تسمية الاشياء باسمائها. علما ان نصف اعمال الدراما العالمية مستندة على احداث تاريخية ووثائق رسمية. ربما لان فصول الحرب اللبنانية لم تنته بعد ما زال البحث في ملفاتها امرا ممنوعا. لمعرفة اسباب هذا التجاهل التقت "الامن العام" بثلاثة مخرجين هم ميلاد الهاشم وايلي حبيب وجوليان معلوف.

ميلاد الهاشم: الحديث عن الحرب واسبابها ممنوع

■ لماذا تتجاهل الدراما اللبنانية الواقع اللبناني المليء بالدراما، تحديدا ما عاشه الناس في سنوات الحرب؟

□ هناك اهداف لما يقدمه التلفزيون والسينما وهي متعددة ابدأها بالتالي، اولا، ان يكون العمل الفني وسيلة يهرب بها المشاهد لنسيان واقعه المأسوي كما هي حال اللبنانيين في الوقت الحاضر بعيش حياة وردية من خلال الشاشة، وهذا ما درجت على تقديمه هوليوود ماضيا وحاضرا، وهذا، ايضا، ما يفكر فيه المنتجون من اجل استقطاب المشاهدين بتقديم فسحة حلم لهم. ثانيا، التلفزيون هو للتركيز على الجماليات وابرازها كتصوير سيدة مجتمع بورجوازية انيقة، مثلا، لا سيدة عاملة ترهق نفسها طيلة النهار بالاهتمام باولادها. مظاهر البذخ والرفاهية تستهوي الناس، بالفيلات والسيارات الفخمة، وهي عناصر مهمة تصب في مصلحة التسويق للعمل. ثالثا، الحلم الاميركي جاب العالم كله ولم يعد مقتصرا على الاميركيين فقط، هو الحلم بحياة رغيدة مختلفة عن الواقع المعيوش، علما ان الميديا، في ذاتها، توصل الانسان الى هذا النوع من الاحلام بجمالية الصورة والشكل ليصبحا وسيلة لهرب الانسان من واقع بشع لا يريده. هكذا يفكر المنتجون وضمن هذا الاطار يتم الاعداد للاعمال التلفزيونية والسينمائية والناس احبت هذا الاسلوب وارتاحت اليه، لكنني لا اعتمده في اعمالي.

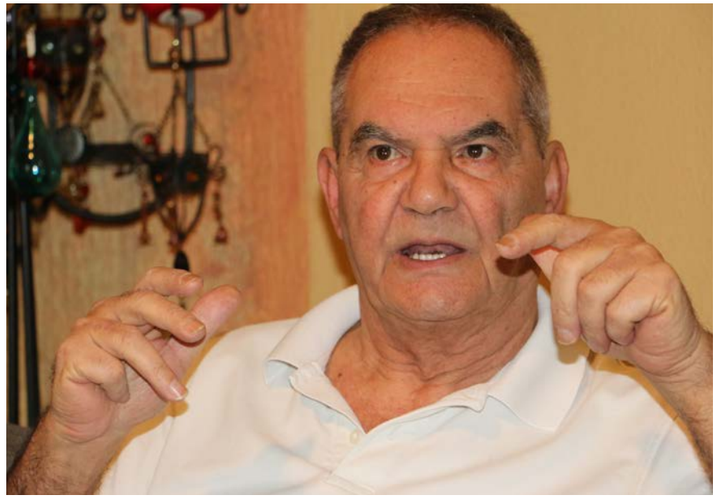

المخرج ميلاد الهاشم.

> **العمل التلفزيوني والسينمائي وسيلة لنسيان المشاهد واقعه المأسوي**

■ اذا كانت الدراما هي لالهاء الناس عن همومها او لتأمين حال من الاسترخاء والراحة لهم بعد نهار متعب ماذا تقدم الدراما اللبنانية حاليا من مضمون يجعل واقعهم مختلفا؟

□ الشاشة تريح المشاهد، معها يشعر بالاسترخاء اما الشغف لديه فيزداد بمتابعة اعمال كوميدية وبرامج مرحة وهي نادرة في هذه الايام بسبب ندرة وجود كتّاب لها. فكتابة نص درامي امر سهل في مقابل كتابة نص كوميدي علما ان كتّابها نادرون في لبنان حاليا وفي حال وجدوا فهم لن يتجاسروا على تقديم اعمالهم لان محطات التلفزيون لن تجازف في عرض مسلسل كوميدي وذلك من باب الخوف من عدم نجاحه ولن تخاطر بخوض تجربة من هذا النوع حاليا كما كان يفعل تلفزيون لبنان قديما. فالتجارب المستمرة كانت مضماره ولهذا السبب كان يقدم، في ذلك الحين، من خارج المألوف ومن باب المجازفة ايضا. لذا، كان ناجحا في كل ما قدمه من اعمال درامية. علما ان محطات التلفزيون التي انشئت ما بعد تلفزيون لبنان خاضت التجارب على غراره في بداية مشوراها لكنها مع الوقت دخلت في الاطار المعلب والمعمم ايضا خوفا من نتائج لا تؤمن ربحا ماديا للجميع، للمنتج ولمحطة التلفزيون، التي تعتبر نجاحها مرتبطا باختيار عمل درامي يحقق نسبة مشاهدة عالية. هذا هو المقياس للاسف.

■ لماذا تتجنب الدراما اللبنانية التطرق الى مواضيع متعلقة بالحرب التي اندلعت عام 1975 اما ما هو متعلق بتاريخ لبنان القديم فلا مشكلة في طرحه للناس بادق التفاصيل كمسلسل "ثورة الفلاحين" او "رصيف الغرباء" مثلا وغيرهما من اعمال ايضا، علما ان مسلسل "انتي مين" الذي عرض في رمضان عام 2019 كان الخطوة الوحيدة الجريئة في هذا المجال، ما السبب؟

□ ردات فعل الناس على افلام طرحت موضوع الحرب اللبنانية لم تكن ايجابية، لم تحبها وبكلام ادق، كشفت عن عدم رغبتهم في استرجاعها او العودة الى ما يذكرهم بها. ربما لان هذه الاعمال لم تقدم معالجات لها في العمق، هنا نعود الى مسألة التسويق ودوره في انتشارها وكيف وضمن اي نطاق. من هذه التجربة انطلق المنتجون بفكرة تسلية الناس بالدراما، سينما وتلفزيون. هذا من جهة اما من جهة ثانية فالكل يعلم ان هناك مشكلات ستواجه من يريد طرح مشكلات الحرب واسبابها كما هي، اي، بكل وجوهها فالامر ممنوع، "تابو". نصف اعمال الدراما العالمية مستندة على احداث تاريخية ووثائق رسمية. ◄

المقال

الطيبة لا تصنع دراما

الدراما اللبنانية ليست بعيدة بشكل مطلق من الواقع اللبناني. لقد تجنبت الغوص في جوانبه الحساسة بسبب وجود اختلاف في وجهات نظر ابنائه حول اسباب اندلاع الحرب عام 1975، مما قضى بتجاهل قصص الناس الحياتية فيها رغم قساوتها كمادة حية قد تنعش الاعمال الفنية، بمضمونها، بشكل مختلف عن السابق ما دام البحث في هذه المواضيع هو مشكلة في غنى عنها حاليا.

الكتّاب، عادة، هم من المراقبين، ينعزلون جسديا لا فكريا، لمراقبة كل تطور حاصل في مجتمعهم. علما ان المراقبة تعلم الانسان الحذر في انتقاء الاشياء لمعرفة تقييم الاوضاع المحيطة به من اجل اختيار الانسب والمفيد له.

بمراقبة كتّاب السيناريو في لبنان الواقع كمادة يستوحى منها بعد اعمال لسينمائيين مهمين تبين لهم ان لا جدوى من البحث في ملفات الحرب اللبنانية، بكل ما تحمل من دراما يومية عاشتها الناس ما دام الخلاف حولها ما زال مستمرا حتى الان. على ضوء هذه النتيجة الملموسة كان الاتجاه نحو الابتعاد عن الواقع بالاستعانة بالخيال الذي مهما حلق باجنحته وتألق لن يكون بقساوة الواقع وبشاعته. ولكي يكون اللجوء الى الخيال نافعا كان لا بد من الاتجاه نحو الاقصى بافكار سوداوية عن حقيقة الانسان المعاصر غير المكترث الا لنفسه ولمصالحه الشخصية.

حقيقة سعت الدراما اللبنانية في السنوات الاخيرة الى تسليط الضوء عليها بشكل ملفت من خلال مضمون خلاصته: ضرورة الحذر من الاخر. بصراحة هناك تعميم لهذه الافكار في الدراما، الامر الذي قضى بتغيير وجهة كاميرا المخرج والكادر الخاص به للتركيز على الداخل لا الخارج، داخل الانسان بألمه الداخلي وانفعالاته لا على الموقع والمشهد العام الذي يرسم من خلاله الحدث. من يراقب اعمال الدراما في الفترة الاخيرة يلاحظ اختلافا في عناصره الاساسية التي كانت مثابة قاعدة لكل الاعمال في المضمون والاخراج. فالمضمون بات مرتكزا على جوهر معاناة الانسان في الحياة العصرية المليئة بالافعال السوداوية، كالشر والغش والاذى. هذه هي العناوين البارزة للدراما حاليا والتي تستقطب عددا لا يستهان به من المشاهدين لينتقلوا بانشراح الى دراما جديدة ما دامت من صنع الخيال، الواقع فيها لا يعنيهم ولا يذكرهم بحالهم.

مع انتفاء الرومانسية بشكل عملي من حياة الانسان، وبالتالي، من الاعمال السينمائية والتلفزيونية، بدأ كتّاب الدراما والمنتجون يبحثون عن مادة دسمة موحية ومؤثرة في الوقت نفسه تتناول الانسان، لكن لا واقعه المأسوي كضرورة لانتشار الدراما وتسويقها، فتم الاتجاه نحو الصندوق الاسود المخبأ في داخله للكشف عما فيه من مفاجآت لأن "الطيبة لا تصنع دراما".

دنيز مشنتف
denise.mechantaf@gmail.com

ايلي حبيب: طرح قضايا الحرب جرأة يخاف منها المنتج

■ لماذا تتجنب الدراما اللبنانية الواقع اللبناني المليء بالدراما بالكشف عن قصص الناس ومعاناتهم في سنوات الحرب، ما السبب؟

□ المنتجون هم المسؤولون عن رفض وقبول النصوص التي تقدم اليهم اعتقادا منهم ان واقع الناس مليء بالمآسي، وكما يقولون، تكفيهم همومهم. فهم في حاجة الى الترفيه عن انفسهم. هذا من جهة وهي اساسية. اما من جهة ثانية فهناك اعتقاد لديهم في حال اتجهوا نحو خيارات اخرى من خارج السائد والمرغوب حاليا، وكما يقال "من خارج العلبة" من الممكن ان لا يكتب النجاح لهكذا خطوة، اذ تعتبر مجازفة في غير مكانها. لدى طرح اي مشكلة بالتحدث عنها هناك استعادة لعيشها مجددا. لهذا السبب يتجنب المنتجون في لبنان فتح ملفات الحرب او البحث في اسبابها، لكن في حال كان العمل يتناول قصة حرب حدثت في بلد اخر غير لبنان سيكون الامر مشوقا للمشاهد لان الامر لا يعنيه مباشرة.

المخرج ايلي حبيب.

■ مسلسل "انتي مين" الذي توليت اخراجه تناول الحرب اللبنانية بتفاصيل دقيقة وبمصطلحات لغوية كانت سائدة انذاك، خطوة جريئة حققت نجاحا ملفتا، مما يعني عدم رفض الناس لهذه الاعمال الامر الذي يؤكد عكس ما هو رائج في هذا المجال، ما تفسيرك لهذه المفارقة؟

□ "انتي مين" الذي عرض في رمضان 2019 ومسلسل "ابنة المعلم" لعام 2005 اعتبرهما من اهم اعمالي وقد تعاطفت الناس معهما. السبب؟ في الواقعية التي عرضت فيها هذه القصص بعيدا من استعراض القصور والفيلات والسيارات الفخمة. في هذين العملين شعر المشاهد بالتشابه بينه وبين الابطال لان الواقع كما صورته الشاشة يشبههم ويتحدث عنهم من دون تكلف ولا مبالغة لكن من دون تسمية الاشياء باسمائها، لان الطرح يتناول قصص ناس عاشوا في الحرب واشتركوا فيها وكانوا جزءا منها. صحيح، مسلسل "انتي مين" كان جريئا لكن رمزيا لم يتحدث بشكل مباشر عن الحرب بل عن قصة حب نشأت على خطوط التماس بين شخصين ينتمي كل واحد منهما الى جهة حزبية، شرقية وغربية. هذه الجرأة يخاف منها المنتج والمحطة التي ستعرض العمل خوفا من خسارة جمهورها الذي هو السوق الذي

> **المنتج هو صاحب "الطبخة" يقبل ويرفض اي نص درامي**

يقبل او يرفض، وبالتالي، ستنعكس النتيجة على المنتج ونجاحه مما قد يخسر لقبه "اقوى منتج" باعتباره صاحب "الطبخة" ـ كما نصفها ـ فهو الذي يعدها باختيار النص والمخرج اذا اراد الموافقة على النص المعروض عليه والا، في حال رفضه، سيبحث عن مخرج اخر بخلفية تتحكم في تفكيره ونهجه في العمل. ماذا تريد السوق حاليا؟ تسويق العمل هو معيار نجاحه، بمعنى قبول السوق له او رفضه وهذا ما نسميه "موجة"، بمعنى ان الموجة الان هي لافلام معينة التي لا تتواجد في السوق من دون ترويج المنتجين لها ومن دون موافقتهم على انتشارها. اعتقد انه قد حان الوقت لطرح مشكلات الواقع اللبناني في الدراما بالتركيز على ما عانى منه الناس من مشكلات في العامين الماضيين. السيناريو جاهز وساعمل على انجازه بعد عودتي الى لبنان.

■ الملفت في ما قدمته الدراما اللبنانية في الفترة الاخيرة التي لاقى مضمونها استحسان المشاهدين بمتابعة دائمة لهذه الاعمال هو الدل الى مدى الشر المخبأ في الانسان كما صوره مسلسل "للموت" الذي عرض في رمضان الماضي، هل هذه موجة جديدة كما تصفها وما الغاية منها؟

□ الوعي تربويا واجتماعيا وهي رسالة موجهة الى الاهل للاتعاظ من تجارب الشخصيات التي تابعوا احداثها على الشاشة تداركا لعدم وصول اولادهم الى النتيجة نفسها بسبب العنف والفقر والاهمال في مرحلة الطفولة. هذا العمل ارتكز على الجانب الغرائزي عند الانسان حبا بالبقاء بتبرير افعال السرقة والاحتيال والقتل من اجل تأمين لقمة العيش. في "للموت" كان هناك استعراض لتاريخ شخصياته بالعودة الى الطفولة للقول، الشر نتيجة. القصة هي الدراما وهي لعبة متكاملة، ايضا، بالكاستينغ والاخراج والانتاج. لكن في حال كان السيناريو ركيكا غير مبني على قصة متينة ومشوقة لن ينجح ستيفن سبيلبرغ في اخراجها كعمل يليق به.

جوليان معلوف: الدراما لاحداث تغيير في المجتمع

■ لماذا تتجاهل الدراما اللبنانية الواقع اللبناني المليء بدراما الناس في سنوات الحرب وما بعدها؟

□ السينما لم تتجاهلها. افلام مارون بغدادي هي عن الحرب اتوقف هنا عند فيلم "وست بيروت" واقعي وحقيقي. لكن اين هي المساحة التي اعطيت لهذه الافلام عندما كان هناك سينما في لبنان؟ كلامي هذا غير معني بالوضع التي نعيشها منذ عامين، انتشار وباء كورونا و"الهزات" الاقتصادية، وهي في نظري كانت مفيدة للمجتمع اللبناني كي يعود الانسان الى حجمه. هذا ما اريد طرحه في المرحلة المقبلة وهو يستهوي جيل الشباب غير المتابع اطلاقا للدراما اللبنانية لان قصصها لا تعنيه ولا تتحدث لغته. في الاساس الحرب لم تنته بحل كي يتحدث الكتّاب عنها وفي حال طرحت جوانب معينة فيها سيعتبر من طرحها طرفا فيها وسيتم تسييس عمله. بصراحة، هناك خوف من التسليط على هذه المواضيع حاليا، لذا، يتعامل معها المنتج بحذر لارتباطه بسوق عربي لا يكترث بنا كلبنانيين عددهم 4 ملايين نسمة. بمعنى، لسنا سوق الترويج في لعبة منافسة يريد المنتج ان يقول من خلالها، انا الاقوى. دور الدراما هو تغيير المجتمع باحداث فارق فيه لا يكون الا بفارق يحققه عمل اخراجي من خارج المألوف فيما اللائحة جاهزة باسماء البطولات المشتركة لا لان السوق هو من يريدها بل لان محطات التلفزيون ايضا تلعب لعبة النجم والناس تريد متابعة اعماله واخباره والمنتج يدير اللعبة كلها باعتبارها "بزنس".

المخرج جوليان معلوف.

■ ما دور المخرج اذا؟

□ صناعة الدراما في لبنان ليست صناعة المخرج للتعبير عن رأيه لاحداث فارق يسعى اليه فنيا، وبالتالي، اجتماعيا بهدف الوعي على مسائل باتت واضحة امامنا والكل يعرفها وعلينا التحدث عنها في اعمالنا. هذه قناعتي بعد ما عشناه في العامين الماضيين ولقد بات من الضروري طرح الواقع اللبناني. هذا ما

> **الدراما عرّت الانسان فسببت له الاذى بكشفها عن تفاهته وسطحيته**

اتجه نحوه حاليا باعداد سيناريو لفيلم قصير يطرح ما نعيشه بشكل كوميدي. ساكون واضحا، هدفي من اخراج مسلسل "خرزة زرقاء" الذي تعرضه محطة M T V حاليا هو ابراز جمالية الفن المعماري في لبنان باختيار بيوت قديمة في مناطق بعيدة من العاصمة من اجل تذكير المغتربين بوطنهم وانا اعرف ان الامر يعنيهم وتستهويهم العودة الى لبنان، فهذا حافز.

■ اذا كان اللبناني رافضا استرجاع ذكريات الحرب امام شاشة التلفزيون كيف يتابع ما بعد منتصف الليل الدراما المرتكزة على العنف والرعب والشر في الانسان الى حد تصويره كوحش، هذا ما تروج له الدراما اخيرا، ما تفسيرك؟

□ اللبناني لا يريد تذكر الحرب وكأنه يقول، ابعدوها عني. هذا الوضع يختلف كليا مع مشاهدة نوعيات اخرى، كالعنف مثلا. اولا، هناك التماهي مع صور البطل في السينما والتلفزيون بادخال المشاهد نفسه في مقارنة معه، اما للعودة عن اخطائه او لاثبات نفسه امام عائلته انه افضل منه لانه لم يرتكب افعاله. ثانيا، مع افلام العنف يتوقف التفكير فيلتهي النظر بالمظاهر المبهرة، سيدات جميلات مثلا، فلا يغوص المشاهد في التفكير في هموم من واقعه. اما عن الشر الذي تصوره الدراما اللبنانية في السنوات الخمس الماضية فقد سبقتها الدراما العالمية اليه وقد تفوقت في ابراز الانسان كوحش هذا صحيح.

* في رأيك، الدراما عرّت الانسان؟

ـ طبعا، لقد سببت له الاذى ايضا بكشفها عن تفاهته وسطحيته.

د. م